ASJP Algerian Scientific Journal Platform
مجلة دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية
ISSN : 1112-9727 EISSN : 2676-1661
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/459

المجلد:09، العدد: 02(2024) ص: 98 - 109

تجليات التصوف في نماذج من الشعر الجزائري المعاصر

Manifestations of Sufism in examples of contemporary Algerian poetry

هدى بن حليس*

كلية الآداب واللغات – قسم اللغة والأدب العربي. جامعة محمد بوضياف المسيلة .الجزائر.
ص ب 166 اشبيليا، 28000 المسيلة - الجزائر-

houda.benhalis@univ-msila.dz

معلومات المقال

تاريخ الإرسال:
2024/06/29
تاريخ القبول:
2024/12/09

الكلمات المفتاحية:
- ✓ التصوف
- ✓ شعر جزائري معاصر
- ✓ نصوص

الملخص:

تم الاتجاه في هذه الدراسة نحو الجانب التطبيقي بعيدا عن كل ما هو نظري، عبر ثلاث قصائد لثلاثة شعراء تختلف مضامينها وأساليبها الفنية، بغية الكشف عن ميزات التجارب الشعرية المختلفة التي تتغذى على المذهب الصوفي.

وقد انتهينا إلى أن النصوص المدروسة لا تخلو من خصائص الأدب ومقوماته الفنية، يتم الكشف عنها بإخضاعها إلى مقاربة شعرية عبر التشكيلات اللغوية والدلالية،وقد أعاد أصحابها أي الشعراء إلى وحدتهم المفتقدة بفعل الاغتراب النفسي الذي سببه الواقع بمستوياته المتعددة، مما أدى بهم إلى اللجوء إلى عالم الروح معبرين عن وعي متصل ومتراكم غير مهدد بالانقطاع، مليئ بالمعالم الصوفية وقد كانوا مبدعين في المزج بين الواقع والخيال بشكل حقق شعرية عالية.

Article info

Received
29/06/2024
Accepted
09/12/2024

Keywords:
- ✓ *sufism:*
- ✓ *contemporary:*
- ✓ *textes:*

Abstract :

The direction in this study was towards the practical aspect, away from everything that is theoretical, Through three poems by three poets with different contents and artistic stylesin order to reveal the features of poetic different experiences that feed on the Sufi doctrine.

We have concluded that the texts studiedare not devoid of the characteristics of literature and its artistic components, which are revealed by subjecting it to a poetic approach through linguistic and semantic formations, she restored the poets to their lost unity, due to psychological alienation due to reality at its multiple levels, which leads them to resort to the spirit worldexpressing a connected and accumulated awareness that was not threatened by interruption, full of mystical landmarks, and they were creative in mixing reality and imagination in a way that achieved high poeticism.

*هدى بن حليس

1. مقدمة

يزخر الشعر الجزائري المعاصر بالتجارب التي تتغذى على المذهب الصوفي، مما يمنحها سمة التميز، الأمر الذي يدفع القارئ إلى البحث عن هذه الميزات بالوصف والتحليل، وقد انتشرت مؤخرا فكرة الشعر الصوفي لدى الكثير من الشعراء مثل "نذير بوصبع"، "رابح فلاح" و "قدور رحماني" وغيرهم، وسنحاول في هذه المداخلة اقتفاء الأثر الصوفي في نماذج شعرية لهؤلاء الشعراء.فما هي الملامح الصوفية في النماذج الشعرية المدروسة؟تم الاتجاه نحو الجانب التطبيقي للكشف عن خصائص القصائد الصوفية بالاستناد إلى الوصف والتحليل.

والسؤال الذي يطرح حول هذا الموضوع: كيف وظف الشعراء البعد الصوفي في نصوصهم؟

وقد وقع الاختيار على نموذج شعري لكل شاعر من الشعراء المذكورين أعلاه.

2.دراسة تطبيقية لقصيدة "صوفي..." للشاعر "نذير بوصبع":نشطت في الفترة الأخيرة حركة المسابقات الشعرية التي تستقطب الكثير من المواهب الشعرية المغمورة، ولا يخفى ما تؤديه هذه الفاعاليات الثقافية من دور كبير في التعريف بهم، لتصبح إبداعاتهم مادة دسمة للباحثين الأكاديميين، مما يفتح مجال التجدد في المدونات التي يعتمدها الباحثون في إنجاز مذكرات وأطروحات التخرج أو إنجاز المؤلفات النقدية.

1.2 التعريف بالشاعر"نذير بوصبع":

متحصل على شهادة دكتور في العلوم الإسلامية، يعتلي منصب أستاذ بكلية العلوم الإسلامية في جامعة الجزائر، سبق له الفوز بجائزة "مفدي زكريا" المغاربية (المرتبة الأولى) سنة 2001م، له نشاطات متعددة في الكتابة النقدية والدراسات الأكاديمية.(بوصبع، 2008.ص: 120).

2.2 القصيدة: يقول:

أَيُّهَا الْمَهْجُورُ فِي دُنْيَا مِنْ نُبَاحْ..

نَازِفَ الْقَلْبِ حَزِينًا.....

تَصْطَلِي جَذْوَةَ دَمْعٍ ..، وَجِرَاحْ..

تَرْكَبُ الْوَتْرَ خُيُولًا ....،

وَنَشِيدًا مِنْ سُلَالَاتِ الرِّيَاحْ..

وَاثِقًا مِثْلَ نَبِيٍّ ..،

رَاكِضًا نَحْوَ بِدَايَاتِ الصَّبَاحْ..

مِنْ مَقَامِ الرَّهْبِ تَتْلُو ..

سُورَةَ النَّجْمِ ..، وَآيَاتِ الْفَلَاحْ..

وَإِذَا مَا شَفَّكَ الْوَجْدُ وَحِيدًا ..،

تُرْسِلُ الشَّدْوَ شَجِيًّا ..

مِنْ رَبَابَاتِ النُّوَاحْ.

تَسْكَرُ الدُّنْيَا، تُعَرِّي صَدْرَهَا ...،

تَرْمِي الْوِشَاحْ..،

وَتُنَادِيكَ، وَتُذْكِي جَسَدًا ...

غَامِضَ الطَّبْعِ، مُبَاحْ..

وَدَنَتْ فِي لَيْلِهَا الْعَارِي.. وَذَابَتْ ..

فِي نِهَايَاتِ الْقَدَاحْ.

سَافَرَ الْقَلْبُ إِلَيْهَا ...وَهَفَا بَيْنَ الْغَوَايَاتِ مَحِيًّا وَرَوَاحْ....

أَذَّنَ السِّرُّ وَغَنَّى ..

فِي ضِفَافِ الشَّوْقِ .. نَشْوَانَ الصَّدَاحْ ..

وَتَجَلَّى بَاهِرَ الْأَنْوَارِ ..، صُوفِيَّ الْمَقَامَاتِ نَقِيَّ الْبِطَاحْ...

سَبَّحَ اللهَ وَصَلَّى ....،

حَامِلاً فِي الرُّوحِ شَذَى الزَّهْرِ وَأَسْرَارَ الْأَقَاحْ،

تَارِكاً لِلْأَرْضِ أَوْهَامَ صِبَاهَا ...،

وَسَرَابًا مِنْ صَدَى الْعِشْقِ...، وَمَا لَيْسَ يُبَاحْ...

يَا صَغِيرًا يَحْسَبُ الْعِشْقَ ضَحِيجًا ...وَصِيَاحْ،

أَوْ فُتُونَ الطِّينِ مَسْعُورَ الْجِمَاحْ...

جَنَّةُ الْعُشَّاقِ نَارٌ، وَفُؤَادٌ غَيْرُ صَاحْ،

وَإِذَا لَمْ يَشْتَعِلْ قَلْبُكَ .. مَا جَدْوَى انْتِفَاضَاتِ الْجَنَاحْ؟! (بوصبع، 2008. ص ص: 7-8).

بداية يصرح الشاعر بانتسابه للمذهب الصوفي من خلال العنوان الذي يختص بمصطلح وحيد هو "صوفي"، ويبدو بأنه كان عرضة لانكسار وجداني فجاء النص كومضة داخلية أرادها أن تكون مفتاحا أوليا لقراءة نصه وتبيان خصائصه الفنية والموضوعاتية. (قلولي، 2003، ص:37.)والشاعر عندما يكون صوفيا يرفض الواقع لطغيان الروحانية عليه، مما يشعره بالاغتراب ضمن فيسعى لتغيير واقعه المادي بالقول الشعري فينتج ذلك الصراع بين الحقيقة والخيال.

وفيما تعلق بالإيقاع، معروف اعتماد الشاعر الصوفي على السماع لأنه يقوم بالتغني بقصائده وإنشادها فردا أو جماعة باعتبارها ذات وظائف روحية وترويحية، وما يمكن ملاحظته في هذا النص بشكل ظاهري دون اللجوء إلى التقطيع العروضي تكرار نفس الوقفة المقيدة المبنية على التأسيس وروي الحاء الساكن والتي وقعت على الألفاظ الآتية: (نباح/ جراح/ رياح/ صباح/ فلاح/ نواح/ وشاح/ مباح/ قداح/ رواح/ صداح/ بطاح/ أقاح/ بياح/ صياح/ جماح/ صاح/ جناح)، ويبدو بأن معاني الكلمات تتراوح بين التفاؤل والتشاؤم، مما يعود

على نفسية الشاعر المتجددة فلا هو بحزين دائما ولا سعيد بل يعيش الصراع الدائم مع المخاطب المنقسم بين الرغبة في إنهاء وجعه برمي نفسه في أحضان الدنيا الفانية بعيدا عن الالتزام بالشريعة أو يلتزم الصبر ويلجأ إلى الله عز وجل ليكافئه بالجنة، وقد عكس تأسيس القافية التزامه، والتقييد الإسرار على استمرار الدعوة لإتباع السبيل الصحيح رغم كل القيود والصعاب التي واجهها، ويعتبر صوت "الحاء" الحلقي انعكاسا لهذه المشقة "فيحدث باندفاع النفس بشيء من الشدة مع تصنيف قليل مرافق في مخرجه الحلقي، فتحتك النفس بأنسجة الحلق الرقيقة". (عباس: 1998، ص: 181)، هذا الأمر يجعل النطق به وكأنه يخنق المتحدث وهذا ما ينعكس على ثقل الموقف اتجاه الوضع السائد.

كما تشكل الهيئة المكانية للنص علامة بارزة خاصة ما تعلق بالاستخدام المكثف للنقاط المتتابعة دون الالتزام بنفس العدد، انطلاقا من العنوان "صوفي..." الذي تشكل من كلمة وحيدة متبوعة بثلاثة نقاط، فلا يمكن المرور عليها دون التدبر في دلالتها فقد منحته وجودا آخر يدعم الجانب السماعي ليفتح مجالا جديدا في التعامل مع التشكيل البصري الخارج عن المكونات اللغوية، على ضوء بلاغة الصمت، باعتبار أن النقاط في العنوان شكلت علامة حذف، مما يوضح معاصرة الشاعر واستفادته من التطورات الواقعة على النص الشعري بالانفتاح على طاقات متاحة تسهم في تعزيز الجانب الدلالي، وأحيانا دلت على شدة الألم، وكأنه يختنق لبرهة فلا يستطيع الكلام وهذا ما ظهر في السطر الثاني وكان أكثر ما استخدمها في نصه بخمسة نقاط متتابعة(نازف القلب حزينا.....)،كما يظهر إنهاء نصه بعلامتي تعجب واستفهام (وإذا لم يشتعل قلبك .. ما جدوى انتفاضات الجناحْ؟!)معبرا عن تعجبه وحيرته إذا لم يصدّق المخاطب حقيقة ما يدعوه إليه.

وقد نوع المبدع في معجمه اللغوي، فأكثر من استخدام مصطلحات وعبارات ذات دلالة دينية "وما اقتبسه من القرآن والأدب الديني عامة وتأثره بشعر الحب والخمر كفته بمجموعة من المصطلحات التي اتخذها رموزا للتعبير عن تجربته من جهة، وابتغاء سترها عن الغير من جهة أخرى" (ينظر: العوادي: 1979، ص: 261) بتناولها بشكل فني يعزز جمالية نصه، مثل: (نبيّ، مقام الرهب، سورة النجم، آيات الفلاح، أذّن، سبّح الله وصلى، جنة، نار) متخذا لنفسه أصولا دينية غنية بالعمق الصوفي، كما لم يغفل عن ألفاظ الطبيعة التي تتوزع بين النبات (الزهر) والحيوان (خيولا/ الصداح "سمة تتعلق بزقزقة الطيور"/ نباح "سمة تتعلق بالكلاب") والإنسان من خلال صفات متعددة مسبوقة بأداة نداء (أيها المهجور/ يا صغيرا/ صياح/ فؤاد/ قلبك) وظواهر طبيعية متعلقة بالزمان (الصباح/ ليلها) ومنها ما تعلق بالمكان (الأرض/ البطاح/ الطين) وهناك ما ارتبط بالجو (الرياح)، ونال معجم السفر حظا معتبرا في النص أوحت إليه كلمات وعبارات مثل (المهجور/ تركب الوتر/ راكضا/ ترسل/ سافر/ مجيئا ورواح/ تاركا للأرض)، مما يعزز انتقاله الروحي بعيدا عن العالم المادي، "نتيجة إحساس عميق في نفس الصوفي بالاغتراب عن العالم وعن الذات نظرا لما يستشعره في عالمه من نقص، تسوده المصالح المادية والصراعات والفوضى". (ينظر: العوادي: 1979، ص: 223.)

وتبدو صوره الشعرية منسابة ما بين الحلم واليقظة، كما يلغي المدلول الخاص بالكلمات المتعارف عليها محاولا إخضاعها لتجربته الذاتية مشكلا خصوصية متفردة، عن طريق الرمز الذي يعد ركيزة أساسية للأدب الصوفي كقناع للدلالة على معان غامضة مستندا إلى مصطلحات وعبارات تعوّد المتلقي على وجودها ضمن الأدب الصوفي باعتبارها الأقدر للتعبير عن عمق التجربة التي تعجز اللغة العادية

عن احتوائها، مثل (تسكر الدنيا، تعري صدرها، ليلها العاري، ذابت في نهايات القداح، جنة العشاق نار وفؤاد غير صاح).وقد تم الجمع بين رمزي الخمر والمرأة في قوله:

تسكر الدنيا، تعري صدرها ...،

ترمي الوشاح..،

وتناديك، وتذكي جسدا ...

غامض الطّبع، مباح..

فمن "أكثر الظواهر بروزا في الشعر الصوفي هو اعتماد الصوفية على شعر الحب والخمر، سواء حين يتمثلون به لنقل أحوالهم، أم حين يستعيرون أساليبه ومعانيه وينسجون أشعارهم على غرارها،"(ينظر: العوادي: 1979، ص: 223.) بدليل اعتماد الشاعر في هذا التصوير على الاستعارة عدة مرات متتابعة فعبارة "تسكر الدنيا" استعارة مكنية حيث شبه الدنيا بامرأة تتعاطى الخمر حتى السكر فحذف المشبه (الإنسان) وترك لازمة من لوازمه (فعل السكر)، ويستمر في تشبيهه للدنيا بالمرأة الماجنة تاركا لازمة تختلف في كل مرة فتارة تكون فعل التعري الذي أداه مرتين في هذه الأسطر من خلال فعلي (تعري/ ترمي)، وتارة أخرى مناداة الشاعر ومحاولة إغوائه عن طريق جسدها العاري المباح، مما يجعله أمام امتحان صعب أن يخضع لشهواته أم ينصرف عنها محكما ضميره وعقله، وهذا ما تعززه عبارتي: (سافر القلب إليها/ وهفا بين الغوايات مجيئا ورواح)، متخذا الاتجاه الحسي المباشر سبيلا للتعبير عن نزعته الصوفية.بعدها ينتهي الشاعر إلى بيع ملذات الدنيا واستبدالها بالتجلي الروحي بعيدا عن كل ما هو مادي، مستعينا بعبارات تزخر بالإيحاءات المعنوية مثل: (في ضفاف الشّوق/ سبّح الله وصلّى/ حاملا في الرّوح شذى الزّهر وأسرار الأقاح/ تاركا للأرض أوهام صباها وسرابا من صدى العشق/ جنّة العشّاق نار، وفؤاد غير صاح/ وإذا لم يشتعل قلبك .. ما جدوى انتفاضات الجناحْ؟!)، فقد لجأ إلى التسبيح والصلاة كباب للنجاة، تاركا شهواته الدنيوية لأنها أوهام فانية نهايتها العذاب الأبدي.

3.دراسة تطبيقية لأبيات من قصيدة "النبيّ" للشاعر "رابح فلاح":يحتفي الوسط الأدبي بشعراء ينتمون إلى أعمار مختلفة، ومن مجالات متنوعة، ونسجل حاليا حماس كبير لفئة الشباب في التوجه نحو كتابة الشعر والنثر بأشكالهما المتعددة، مما يؤكد نشاط الحركة الأدبية داخل المجتمع الجزائري، ولا تخفى أهمية أن يكون المبدع أكاديميا،مما سيعكس وعيه الثقافي على فنية نصوصه، وهذا ما ظهر جليا في قصيدة "النبي".

1.3التعريف بالشاعر: ولد يوم 28 جويلية 1990، بـ "تابلات" ولاية "المدية"، ويسكن حاليا بمدينة "لاربعا" ولاية "البليدة". تحصل على العديد من الجوائز الوطنية والعربية منها: جائزة السفارة الفلسطينية في "الجزائر"، جائزة فنون وثقافة بـ "الجزائر"، جائزة "محمود درويش" العالمية للشعر الحر بـ "الأردن"، وجائزة الملتقى الدولي للشعر العمودي في "تونس"، إضافة إلى التأهل لنصف نهائي جائزة "كتارا" لشاعر الرسول صلى الله عليه وسلم والتأهل لقائمة الأربعين من برنامج "أمير الشعراء" في "الإمارات" والقائمة الطويلة من جائزة "راشد بن حمد الشرقي" للإبداع في "الشارقة"، والعديد من الملتقيات الوطنية والدولية أبرزها: ملتقى الشارقة للشعر العربي 2023،

ملتقى شموع لا تنطفئ بوهران ، فائز بالمرتبة الأولى في جائزة رئيس الجمهورية للمبدعين الشباب عام 2020. (مقابلة شخصية مع فلاح، الأربعاء 24 آفريل 2024، على الساعة: 15:00).

2.3 القصيدة(فلاح، 2021، ص ص:61-62.): **يقول**:

صَوْتَانِ فِي الْغَـــارِ أَنْفَـــاسٌ مُبَعْثَـــرَةٌ ... وَالرِّيحُ تَنْفُخُ نَايَ الصَّخْرِ وَالشَّجَنَا

صَوْتَانِ وَالْعَـــرَقُ الدَّامِـــي وَدَمْعُهُمَا ... فِي الْقَلْبِ سِرْبٌ شَرِيدٌ يَشْتَهِي وَكَنَا

لَوْ يَنْظُـــرُونَ إِلَى أَقْدَامِهِـــمْ لَـــرَأَوْا ... وَجْـــهِي يُحَـــاوِلُ طَرْدَ الضَّوْءِ مُحْتَقِنَا

هَلْ نَخْرُجُ الْآنَ؟ كَلَّا...رَدَّ خَيْـــرُهُمَا ... سَيَجْـــعَلُ اللهُ فِي شِـــبْرٍ لَنَا وَطَـــنَا

لَنَا الـــدُّرُوبُ لَنَا الصَّحْرَاءُ تَحْمِلُنَـــا ... بِهَا احْتِمَالٌ وَحِيـــدٌ لِلنَّجَاةِ هُنَـــا

لَنَا الْمَدِينَـــةُ مَـــأْوَى الْهَـــارِبِينَ لَهَـــا ... سَيَفْتَـــحُ اللهُ مِـــنْ أَبْوَابِهَـــا مُدُنَـــا

فَانْظُرْ إِلَى الْعَنْكَبُوتِ الْآنَ تَنْسُجُ مِنْ ... وَعْـــدِ الْإِلَهِ مَـــلَاذَ الْمُبْتَلِينَ ... لَنَـــا

عُشُّ الْحَمَامَةِ وَالْبَيْضُ الَّذِي وَضَعَتْ ... سَيَجْعَلُ الْغَارَ حِصْنًا رَاسِيًا أَمِنَـــا

هَـــذِي الْجِبَـــالُ وَذَاكَ الْأُفْقُ يَعْرِفُنَا ... دَفْـــقُ الرِّمَـــالِ عَلَى أَطْرَافِـــهِ دَمُنَـــا

فِي كُـــلِّ خَطْوٍ لَنَا أَرْضٌ مُبَارَكَـــةٌ ... فَلَا تَخَفْ دَرَكًا بَأْسًا وَلَا حَزَنًـــا

فِي الْغَارِ صَمْتٌ فَصِيحٌ غَيْرُ مُلْتَبِسٍ ... صَـــدَاهُ رَدَّدَهُ يَقُـــولُ: "أَنْتَ أَنَا"

ينتمي النص إلى الشعر العمودي وبالتحديد بحر البسيط، القافية على وزن "فاعلتن"مجردة ومطلقة مع روي (النون) المتصل بألف المد (نا) للتعبير عن تصاعد الخوف لدى شخصيات النص المتمثلة في الرسول عليه الصلاة والسلام وصديقه أبو بكر من الكفار الذين يلاحقونهم ومعروف بأن "النون" من الأصوات الوسطية التي تؤدي دلالات متنوعة وهو أكثر الأصوات ورودا في النص إلى جانب حضوره كروي، فأحيانا يوحي إلى شدة الخوف (شجنا/ شريد/ محتقنا) وتارة إلى التفاؤل (النجاة/ وطنا/ أمنا)، وقد أسهم"ألف المد" في تمديد هذه المعاني.

استند الشاعر في معجمه اللغوي إلى الطبيعة ذاكرا الأمكنة في كلمات وعبارات مثل: (الغار/ الصخر/ شبر/ وطنا/ الدروب/ الصحراء/ المدينة/ مأوى/ مدنا/ ملاذ/ عش/ الغار/ حصنا/ الجبال/ الأفق/ الرمال/ أرض مباركة)، كما وُجد الإنسان من خلال متعلقاته في كل من (صوتان/ أنفاس مبعثرة/ العرق/ دمعهما/ القلب/ ينظرون/ أقدامهم/ رأوا/ وجهي)، وكذلك ما تعلق بالظواهر مثل (الريح/ الضوء) وأيضا وظف معجم الطيور والحشرات في كلمات (سرب/ العنكبوت/ الحمامة/ البيض).

كما استحضر معجم السفر بشكل قليل، وقد اقتصر الحديث على الهجرة إلى المدينة المنورة فرارا من الكفار وطلبا لنشر الدعوة، وقد خصص الشاعر الأبيات الخامس والسادس والعاشر لمعاني السفر من خلال الكلمات والعبارات الآتية: (الدروب/ الصحراء/ تحملنا/ احتمال وحيد للنجاة/ المدينة/ مأوى الهاربين/ سيفتح الله من أبوابها مدنا/ في كل خطو لنا أرض مباركة).

بالنسبة للصور البيانية لم تنل الحظ الوافر في النص، لأن مضمونه بعيد عن تحصيل المعرفة فهو بصدد سرد قصة معروفة ومتداولة في العالم بأكمله لا تحتاج دعم الاتجاه الباطني، وقد تم تسجيل صورة في عبارة (وجهي يحاول طرد الضوء) وهي كناية عن شدة نور وجه النبي عليه

الصلاة والسلام وقد خشي أن يكون سببا في كشف وجودهما للكفار، وأخرى في جملة (الريح تنفخ ناي الصخر) وهي استعارة مكنية حيث شبه الريح بالعازف على الناي فحذف المشبه به وترك لازمة من لوازمه وهي عملية النفخ. وتشبيه بليغ في قوله:(العرق الدامي) ليعبر به عن شدة الهلع والتوتر من أن ينكشف أمرهما.

كما أبدع الشاعر في تصوير واقعة اختباء الرسول عليه الصلاة والسلام في غار ثور وكان معه "أبو بكر الصديق" فقد كانا في طريقهما إلى المدينة هاربين من ملاحقة الكفار سعيا لنشر الدعوة الإسلامية، ويبدو بأنه ذكر أدق التفاصيل إذ نجح في إدخال المتلقي دائرة المشاهدة المباشرة للأحداث الواقعة منذ زمن بعيد جدا وذلك استنادا إلى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي تناولت هذه القصة، ففي أثناء وجودهما في الغار جاء كفار قريش بحثا عنهما، حتى وقفوا على فتحة الغار، إلا أن الله ردّهم بفضله وقدرته، يقول" حدثنا محمد بن سنان حدثنا همام عن ثابت عن أنس عن أبي بكر رضي الله عنه قال "قلت للنبي صلى الله عليه وسلم وأنا في الغار: لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه، فقال له النبي عليه الصلاة والسلام: **يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما" (البخاري، 2002، ص: 897.)**. وقد ذكر الله هذا الحادثة في كتابه فقال سبحانه: ﴿**إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ صدق الله العظيم. (التوبة: الآية40.)ونظرا لواقعية الحدث لم يستند الشاعر إلى تقنية الرمز، كما تجدر الإشارة إلى أن الرسول عليه الصلاة والسلام شخصية ممتلئة دلاليا لا تحتاج إلى تعبئة إضافية فهو أيقونة شخصية، وهذا ما يعزز أسباب تغييب الرمز في النص وقلة الصور البيانية.

4.قصيدة "معراج الحب" للشاعر (قدور رحماني):كثيرا ما يؤدي البعد الصوفي الذي يوظفه الشاعر في نصه تأثيرا قويا في ذات المتلقي وذلك بترك أثر فكري وأدبي هائل يجمع بين الجانبين الروحي والفني، خاصة إذا كان الشاعر شخصا راقيا ومتفوقا في إبداعه كأستاذ التعليم العالي والناقد "قدور رحماني" الذي يعمد دائما إلى توظيف أشكال حداثية بخلفيات تخدم البعد الصوفي.

1.4التعريف بالشاعر: شاعر، وناقد أكاديمي، «درس علوم سياسية وإعلامية ثم التحق بقسم اللغة العربية وآدابها، تحصل على شهادة الدكتوراه في الأدب العربي سنة 2006م، له مشاركات في ملتقيات وطنية ودولية.»(رحماني، 2007، ص:6.) يعتلي منصب أستاذ التعليم العالية بجامعة "محمد بوضياف" بمدينة "المسيلة"-"الجزائر"، كتب مجموعة من الدواوين الشعرية، وله مؤلفات نقدية منها: حقيقة الجمال عند بن عربي، قصيدة النثر وملامحها في الكتابة الصوفية، بنية الخطاب الشعري في الفتوحات المكية لابن عربي.

2.4 القصيدة(رحماني، 2007، ص: 32.)،يقول:

سَكَبْتُ أَوْرِدَتِي فِي وَرْدَةِ الأَلَقِ..

وَجِئْتُ

مِنْ كُلِّ صَوْبٍ

وَالصَّبَاحُ نَقِي..

صَفَّيْتُ كُلَّ بِحَارِي

مِنْ مُلُوحَتِهَا

وَالْجَمْرُ يَرْشَحُ

كَالْيَاقُوتِ مِنْ هُدُبِي...

وَمِنْ جَبِينِي

وَمِنْ صَدْرِي

وَمِنْ عُنُقِي...

مَاذا أَقُولُ؟

سُهوبُ الحَرِّ قَدْ غَرَزَتْ

أَنْيَابَهَا

فِي نَقْيِ الْعَظْمِ وَالرَّمَقِ

وَلَوْعَةُ البَرِّ

فَوْقَ المَوْجِ مُورِقَةٌ

إِنْ تَقْرَبِي

شَجَرِي المائِيَّ تَحْتَرِقِي..

لَيْسَ الَّذِي

طَابَ فَوْقَ الصَّدْرِ فَاكِهَةٌ

لَكِنَّهُ

شُهُبٌ تَنْمُو مِنَ الْحَرَقِ

مَا زَالَ

يَقْطُرُ شَهْدُ النَّارِ مِنْ شَفَتِي

حَتَّى اسْتَحَالَ

عَرَاجِينًا عَلَى الْأُفُقِ..

وَالْقَلْبُ

فِي مُرِّهِ الْمَعْسُولِ

مُ رْ تَ جِ فٌ

كَالْبَرْقِ يَشْهَقُ فِي تَنْهِيدَةِ الْغَسَقِ ..

عبّر الشاعر عن المجازفات الخطيرة التي قام بها من أجل الوصول إلى "معراج الحب" الذي أشار إلى مذهبه المتصوّف، وقد نجح في توصيل المعنى عبر عدة وسائل، فقد استعان بتكرار الأصوات منها "القاف" الذي انتشر بكثرة، ووقع كروي مرتبط بـ "ياء المد"، يتّصف بالاستعلاء محاكيا سمو ورفعة المذهب الصوفي، محدثا قوة في الإيقاع رافقتها قوة المعاني التي احتوت عليها الكلمات التي تدخل في تركيبها، محملة بمعاني تحاكي الذوق الصوفي فـ "الألق "هو الجنون، "نقيّ" يقصد به شدة الصفاء، "الياقوت" من أفخر المجوهرات، "العنق" توحي لعلو المكانة، "الرمق" بقية الحياة، "فوق" تشير إلى الرفعة، "مورقة" تعبر عن الاخضرار والحياة، "القرب" يعني الوصال، "تحترقي" تشير إلى شدة الشوق وحرارته، كل هذه المعاني دفعته إلى صنع المستحيل وغيّرته من شخص عادي إلى إنسان خارق معذّب لدرجة أن القرب من شجره المائي فقط، يؤدي إلى الاحتراق رغم توفره على الماء الذي يمنع الاشتعال، ليدل على المثابرة والاجتهاد بغية الوصال، كما برزت مشاعر الرقة بشكل يتناسب مع اضطراب هذا الصوت، مما منح جوا رومانسيا، فأدت "القاف" معاني مقاومة الشاعر مظاهر الطّبيعة للتخفيف من شدة الشوق وتقوية أمل اللقاء، وصدر تردد حاد لـ"الصاد"، يحاذي الصوت السابق موحيا إلى النقاء في كل من: (صوب-الصّباح-صفّيت-صدري).

كمايُسجّل انتماء النص للشعر العمودي مع تعدي الشاعر في البيت الثاني إلى ثلاثة أشطر فالأول تألف من شطرين ظهر به التصريع مع قافية مجردة ومطلقة (فاعلتن/قي)،الصّدر تألف من سطر وحيد أما العجز فقد توزع على ثلاثة أسطر، أما البيت الثاني فتألف من سبعة أسطر حيث تعدى الشاعر فيه إلى ثلاثة أشطر، إذ لم ينته المعنى في شطرين فقط بل تعداه إلى ثلاثة، الأول سطرين،الثاني سطرين والثالث ثلاثة أسطر، فلم يكفه الشطر الثاني ليعبر عن معانيه المتعلقة بالجمر الذي يخرج منه كالياقوت من عدة أماكن من جسده (الأهداب/ الجبين/ الصدر/ العنق)، مشكلا حدة متدافعة دون قيد،عززها إطلاق القافية، فكل ما يقوم به الشاعر في نصه له انعكاس دلالي يسهم في تحديد فنيته من خلال تأثيره على المعنى خاصة إذا تعلق الأمر بالبعد الصوفي فهذه الحدة المتدافعة تعكس اللهفة وشدة الشوق إلى اللقاء وبذل المستحيل لتحقيق رضا الحبيب خاصة إذا كان الحبيب هو الله عز وجل، مما يعكس تقوى المبدع من خلال ما يقوم به من مجهودات جبارة لإصلاح ذاته.

أما الأبيات الثالث والرابع والخامس والسادس فقد توزع كلا الشطرين على سطرين لكل منهما، كما استقل العجز بسطر كامل بينما توزع الصدر على ثلاثة أسطر عكس البيت الأول في البيت السابع والأخير.يُلاحظ تباين حجم السواد في بعض الأسطر ليشير الشاعر من خلاله إلى العزلة التي يعيشها لشعوره الشديد بالتميز عن غيره،فهو مختلف عما يسود واقعه، ويمكن ترتيبها كأبيات عمودية من البسيط كالآتي:

سَكَبْتُ أَوْرِدَتِي فِي وَرْدَةِ الأَلَقِ.. وَجِئْتُ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ وَالصَّبَاحُ نَقِي..

صَفَّيْتُ كُلَّ بِحَارِيمْنْ مُلُوحَتِهَا وَالْجَمْرُ يَرْشحُ كَالْيَاقُوتِ مِنْ هُدُبِي...

ومن جبيني ومن صدري ومن عنقي...

مَاذا أَقُولُ؟ سُهوبُ الحَرِّ قَدْ غَرَزَتْ أَنْيَابَهَــا فِي نُقَيِّ الْعَظْــمِ وَالـرَّمَقِ

وَلَوْعَةُ البَرْقَوْقَ المَوْجِ مُورِقَةٌ إِنْ تَقْرَبِ يشَجَرِي المائِيَّ تَحْتَرِقِي..

لَيْسَ الَّذِي طَابَ فَوْقَ الصَّدْرِ فَاكِهَةٌ لَكِنَّـــهُ شُهُبٌ تَنْمُـــو مِنَ الْحَـرَقِ

مَا زَالَ يَقْطُرُ شَهْدُ النَّارِ مِنْ شَفَتِي حَتَّى اسْتَحَالَ عَرَاجِينًا عَلَى الْأُفُقِ..

وَالْقَلْبُ فِي مُرِّهِ الْمَعْسُولِ مُ رْ تَ جِ فٌ كَالْبَرْقِ يَشْهَقُ فِي تَنْهِيدَةِ الْغَسَـقِ ..

حدد الشاعر الهيئة المكانية للنص بشكل مختلف متقصدا إثارة القارئ، ذلك أن الحب الإلهي مهما مر عليه الزمان وما تعتريه من تغيرات لا يتغير لأنه ينبع من إيمان القلب، مما دفع بالشاعر إلى اختار التمويه البصري بعدم كتابة نصه على الشكل العمودي، ومعلوم أن الشعر تتحدد قيمته بما يحويه من فنية لا بشكله الظاهري، لكن لا يمكن إنكار الدور الذي يؤديه نوع النص الشعري بالإضافة إلى التعبير عن الجهد الكبير المبذوللبلوغ أرقى مراتب الحب وقد أوحى إلى ذلك عبر اتصال روي "القاف" بـ"ياء" المتكلم مع صفات الجهر والقلقلة التي تعزز هذه المعاني.

لم يكتف المبدع بتفريق عبارات وكلمات الأبيات عن بعضها البعض بل تعداه إلى تفريق حروف الكلمة الواحدة وهذا ما وقع على كلمة (مرتجف) لتنطق متباعدة على شكل أفقي، مما يشير إلى حالة الارتجاف من خلال حركات متسارعة ومتقطعة فالشاعر صور دقات قلبه الباطنية على هيئة ظاهرة طبيعية (البرق) والتي يحدث فيها بروز الضوء ثم اختفاؤه بشكل سريع جدا وهذه الثنائية العكسية (البروز والاختفاء) توافق ثنائية (المر والمعسول).

وبالنسبة للمعجم اللغوي، فقد وظفه الشاعر بألفاظ محملة بمعاني تحاكي الذوق الصوفي، حيث نالت الطبيعة الحصة الكبرى على مستويات النبات والمكان ومتعلقات الإنسان والظواهر في كلمات وعبارات مثل: (وردة، أوردة، بحاري، ملوحتها، الياقوت، جبيني، صدري، عنقي، سهوب الحر، أنيابها، نقي العظم، البر، الموج، شجري المائي، فاكهة، شهب، شهد النار، شفتي، عراجين، الأفق، القلب، البرق، الغسق)، أما عن معجم السفر فلم ينله الحظ واكتفى الشاعر بعبارة العنوان (معراج الحب) بالإضافة إلى عبارة (جئت من كل صوب)، لأن سفره كان داخليا ضمن روحه فقط ولم يتعداها إلى العالم الخارجي.

كما زخر النص بالصور البيانية، الاستعارة في عبارات: (سكبت أوردتي في وردة الألق/ سهوب الحر قد غرزت أنيابها/ لوعة البر فوق الموج مورقة/ يقطر شهد النار من شفتي)،والتشبيه في جملتين هما: (الجمر يرشح كالياقوت/ القلب مرتجف كالبرق)، مما أخرجه عن حدود الطبيعة بانزياحات تعبيرية جذابة، مرتقيا سلم الإبداع الصوفي فيتوحد فيها الحسي بالجوهر على اعتبار أن التجربة الصوفية "تتشكل تجربة لغوية تتميز بالفرادة والجدة وهي تنطلق من الداخل لا من الخارج وهذا يعني تعدد القراءات في اللغة." (هيمة: 1998، ص: 96.) وكأنها " معادل للتجربة الصوفية التي تستهدف الوصول إلى المطلق والاتصال به وتعيد للإنسان وحدته المفتقدة معرفيا مع الأشياء والعالم والله".(أبو زيد، 2014، ص: 243.)

وتم توظيف الرمز عدة مرات، انطلاقا من "المعراج"وهو "المصعد أو السلم الذي تصعد عليه الأرواح إذا قبضت، وتعرج الملائكة والروح إليه." (ابن منظور: د.ت، ص: 2870)،ويظهر أخذ الشاعر هذا المصطلح من إسراء الرسول عليه الصلاة والسلام، في رحلته من عالم الأرض إلى عالم السماء حيث سدرة المنتهى، ثم الرجوع بعد ذلك إلى المسجد الحرام، ليوظفه بشكل فني من خلال معاني الحب الروحي النقي جاعلا منه أول كلمة لعنوان نصه المتمثل في عبارة "معراج الحب"، أما "**الماء**"فقد ذكر عدة مرات بألفاظ مختلفة مثل (بحاري/

الموج/ المائي)كي تعمل على أداء معاني الاتساع والنقاء، كما لجأ إلى رمز "**النور**" في كلمات مثل (البرق/ شهب) معبرا عن النجاة من الظلمات بواسطة الحب.

5.خاتمة:

شكلت النصوص السابقة إعادة الشعراء إلى وحدتهم المفتقدة معبرين عن وعي متصل ومتراكم غير مهدد بالانقطاع والتوقف، مليئة بالمعالم الصوفية على مستوى اللغة والدلالة والصورة، وقد كان الشعراء مبدعين في المزج بين الواقع والخيال بشكل حقق شعرية عالية.وقد تبين تفرد كل شاعر عن غيره في تناول مضمون نصه الصوفي ف "نذير بوصبع" في قصيدة "صوفي.." اختار تجاوز العالم المادي واعتناق كل ما هو روحي مستندا إلى الرؤية الوجدانية المتمردة على الواقع الإنساني، وهذا ما أكده الحضور الوفير لمعجم السفر، كما برزت المصطلحات الدينية والطبيعية، ووظف رمزي المرأة والخمر في شكل صور بيانية. أما "رابح فلاح" في قصيدة "النبي" فلم يحتج إلى حشد الرموز والصور البيانية لأنه قام بسرد واقعة معروفة فلم يحتج إلى توضيح المعاني واكتفى بحشد معالم الطبيعة على مستوياتها المختلفة، وفي ذلك ما يلاءم مقام النص، وبالنسبة لـ "قدور رحماني" في نصه "معراج الحب" أراد التعريف بذاته المتميزة انطلاقا من التمويه البصري الواقع في طريقة كتابة النص الذي ينتمي إلى الشعر العمودي لكنه كتبه على طريقة الشعر الحر، كما وظف معجم الطبيعة والصور البيانية والرمز بألفاظ وعبارات تلاءم تجربته. وفي الأخير يمكن القول بأن الشعراء نجحوا في منح نصوصهم خصائص الأدب ومقوماته الفنية، مع ثراء المضامين الصوفية لذا أقترح ضرورة التركيز في الدراسات الأكاديمية على هذا المنحى لأنه سيلقي الضوء على المنتوج المحلي الأدبي الذي ينافس وبشدة الإبداع العربي خاصة إن توجه الاهتمام إلى فئة الشباب حيث تحوي مجموعة من المبدعين المجدين ومعظمهم ناشطون على مواقع التواصل الاجتماعي، مما أدى إلى فرض وجودهم على الساحة الأدبية ليس من أجل الظهور فحسب بنصوص هابطة، بل بالعكس فإن فيهم من يبهرنا بنصوصه وهذا ما حدث معي شخصيا عندما صادفت نصوصا للشاعرة الشابة نجوى عبيدات على صفحة فيسبوك ولعل تقدمها وتأهلها في مسابقة "أمير الشعراء" التي تخضع إلى تحكيم لأهم نقاد الوطن العربي أكبر دليل على المستوى الرفيع لهذه الشابة وليست لوحدها بل هناك الكثيرون والكثيرات من المغمورين والمغمورات الذين ينتظرون التعريف بهم من خلال بحوث أكاديمية.

قائمة المراجع

- القرآن الكريم برواية ورش.
- البخاري أبو عبد الله بن إسماعيل. (2002). **صحيح البخاري**.دمشق–سورية: دار بن كثير للطباعة والنشر والتوزيع.
- رحماني، قدور. (2007). **ثروة عمري**. الجزائر: منشورات أرتستيك.
- أبو زيد، نصر حامد. (2014). **إشكاليات القراءة وآليات التأويل**. المغرب: المركز الثقافي العربي.
- بوصبع، نذير. (2008). **حصاد الطين والظلمة**. الجزائر: دار الوعي للنشر والتوزيع.
- عباس، حسن. (1998). **خصائص الحروف العربية ومعانيها–دراسة–**. دمشق–سورية: منشورات اتحاد الكتاب العرب.
- العوادي، عدنان حسين. (1979). **الشعر الصوفي حتى أفول مدرسة بغداد وظهور الغزالي**، بغداد–العراق، دار الرشيد للنشر.

- فلاح، رابح. (2021). **يترجم النار بالماء**. الجزائر: موفم للنشر.
- قلولي، بن ساعد. (2003). **مقالات في حداثة النص الجزائري**. الجزائر: منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين.
- ابن منظور، جمال الدين. (د.ت). **لسان العرب**. مصر: دار المعارف.
- هيمة،عبد الحميد. (1998). **البنيات الأسلوبية في الشعر الجزائري المعاصر، شعر الشباب نموذجا**. الجزائر: دار هومة.